الرأي العام في الإسلام

كافة حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الثانية
١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

مؤسسة الخليج العربى
١٩٥ شارع ٢٦ يوليو ــ العجوزة ــ القاهرة
تليفون : ٣٤٧٢١٨٣ ــ ٣٤٧٢٢٠٦

الرأى العام فى الإسلام

تأليف
محمد عبد الرءوف بهنسى

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرَحيمُ

قال الله تعالى :

﴿ إنَّا فتحْنَا لَكَ فَتْحا مُبِينَاً ، لِيَغْفِرَ لك اللهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَ مَا
تَأَخَرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُستَقِيماً ، وَيَنْصُرَكَ اللهُ
نَصْراً عَزِيزاً ، هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوب المُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا
إيمَانَاً مَّعَ أيمانِهِمْ وَ للَّهِ جُنُودُ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً
حَكِيماً ، لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحتِها
الأنهار خَالِدِينَ فِيها وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ الله فَوْزاً
عَظِيماً ﴾ .

صدق الله العظيم

مقدمة

حمدا كثيرا لله الذى أولانا أجل النعم ، ومن علينا بأعظم المنن ، وشكرا جزيلا لمن تفضل بالآلاء ، التى لا يبلغها الانتهاء ، ولا يحيط بها العد ولا الاستقصاء ،

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أرسله الله بالْحنِيفيَّة السَّمحة ،والشريعة النقية البيضاء ، التى جمعت خلاصة ما سبق من الأديان ، مع زيادة يقتضيها ارتقاء العقول وتطورات الحياة ، وتتطلبها الحضارات القويمة المتجددة إلى يوم القيامة ؛

فالدين الإسلامى لم يدَعْ أصلا من أصول الفضائل إلا أقامه وَوَطَّده ، ولا رُكْناً من أركان الصالحات إلا أسَّسَه وشَيَّدَه ، ولا قاعدةً من قواعد النظام إلا قررها ، ولا ناحيةً من نواحى الحياة إلا أوضح أمرها ، ولا حالةً من الحالات النفسية والعقلية ، والفردية والاجتماعية إلا أبَان حكم الله فيها ، ولاسببا من أسباب الرقى إلا أظهره وحث على التمسك به ، ولا وجها منْ وجوه سعادة الدارين إلا أناره وحض على انتهاجه .

إلى غير ذلك من المزايا الكثيرة ، وكل مزية منها عنصر من عناصر السعادة الحقيقية ، مما جعل هذا الدين أحكم مرشد ، وأهدى قائد إلى المدنية المؤسسة على المعارف الصحيحة ، والأخلاق الفاضلة . وقد سعد بها المسلمون الأولون ، ورفعتهم إلى

غرف الحضارة السامية ، وأنزلتهم معاقل المنعة ، وأحلتهم محل الكرامة . وأجلستهم على عرش السعادة ، فسادوا العالم ، ورفعوا لواء العرفان ، ونشروا نور القرآن فى كل مكان ، وصدق الله العظيم إذ يقول .

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلاَمَ دِيناً ﴾

وإذ يقول :

﴿ قَدْ جاءَكُم مِنَ اللهِ نُورٌ وَ كِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِى بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَ يُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهم إلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

فالنور . هو النبى ﷺ ، والكتاب الواضح : هو القرآن الكريم ؛ يرشد به الله من آمن به إلى وساؤل الأمن والسلامة والاستقرار ، ويخرج من اتبعه من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم ، ويهديهم إلى الصراط المستقيم الموصل إلى رضاء الله ونعيمه ؛ وهو دين الإسلام .

وبعد

فلما كان الإسلام على ما أوجزنا ؛ لم يترك فى سبيل النهوض بالأمم شاردة ولا واردة ، صغيرة ولا كبيرة ؛ من المقاصد العظيمة ، والوسائل القويمة – دعانا هذا العموم الشامل لكل ما فى

الحياة إلى البحث عن كلمة عامة حديثة العهد لم تذكر فى القرآن الكريم ، ولا فى الحديث الشريف ؛ هى كلمة « الرأى العام » إلا أن لها مدلولها العظيم فى الإسلام ، وينابيعها فيه فياضة ؛ فشرائع الإسلام مليئة به ، غنية بما يدل عليه دلالة واضحة ؛ فالإجماع ؛ أحد أدله الأحكام ، وله مكانته العظيمة فى الشريعة الإسلامية ما هو إلا الرأى العام لذوى الرأى فى الدين .

والعرف القويم ، وله اعتباره فى بعض المسائل الدينية ما هو إلا صدّى للرأى العام بل هو الرأى العام عينه ؛ إذ هو ما عرف بين الناس وانتشر فيهم ، حتى اعتادوه وألفوه .

وسيأتى لنا أن الإسلام يربى الرأى العام ، وينشئه تنشئه صالحة ، ويوجهه توجيها سديدا ، ويرعاه رعاية كريمة ، ويقويه تقوية عظيمة ، ويشجعه حتى يعظم أمره ويكون له أثره ، ويتخذه أداة قوية لتأييده وتقويم المنحرفين .

والثلاثة الذين تخلفوا بغير عذر عن غزوة تبوك (فى رجب سنة تسع) وهم كعب بن مالك بن أبى كعب السَّلمىُّ ومُرارة بن الربيع العمرىُّ وهلال بن أمية الواقفىُّ – كان لقوة الرأى العام فى مقاطعتهم خمسين يوما ضغط شديد . وأثر بعيد ؛ إذ هجرهم المسلمون جميعا ، حتى أقرب الناس إليهم ، وتنكرت لهم أنفسهم ، وضاقت عليهم الدنيا على سعتها ، وتحققوا أن لا منقذ لهم من عذاب النفس وعذاب الآخرة إلا الله تعالى ؛ فلما صهرت

نفوسهم ، وخلصت قلوبهم ، وطهرت سرائرهم تاب الله عليهم ، ونزل قوله تعالى فى سورة التوبة آية (١١٧ - ١١٩) .

﴿ لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالمُهاَجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَاد يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيق مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ، وَعَلَى الثَلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَ ضَاقَتْ عَلَيْهِم أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأْ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَ كونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

التوبة على النبى ﷺ معناها : استمرار عصمته وعدمُ تعلق ذنب به ، كقوله تعالى .

﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِك وَ مَا تَأَخَّرَ ﴾ .

فإن الغفران هنا معناه : العصمة من الذنوب كلها ؛ فلا يقع منه ما يوجب الاستغفار ، وكان استغفاره وتوبته ﷺ تعليما لأمته ورفعا لدرجته ؛ أو من باب حسنات الأبرار سيئات المتقين ؛ عاتبه الله على بعض ما حدث منه ؛ كإذنه للمتخلفين من المنافقين بالتخلف ؛ إذ يقول تعالى .

﴿ عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِين صَدَقُوا وَ تَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾

ومعنى توبته تعالى على المهاجرين والأنصار من أجل ما وقع

فى قلوبهم من الوساوس والخواطر فى تلك الغزوة ؛ فقد بلغت الشدة غايتها ؛ حتى أن بعضهم أشرف على الميل إلى التخلف ، ولكن الله تاب عليهم : ثبتهم على الإيمان واتباع الرسول ﷺ ، وعدم التخلف عن الغزو معه .

ووصفهم الله تعالى بأنهم اتبعوا الرسول فى « ساعة العسرة » أى فى وقت العسرة : وهى الشده والضيق ، وكانت غزوة تبوك تسمى : غزوة العسرة ، وجيشها يسمى جيش العسرة ، لأنه كان عليهم عسرة فى المركب ، والزاد ، والماء ؛ فكان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه ، وكان زادهم التمر المسوس ، والشعير المتغير ، وكان تمرهم يسيراً جداً ؛ حتى أن أحدهم إذا جَهَده الجوع يأخذ التمرة فيلوكها حتى يجد طعمها ، ثم يعطيها لصاحبه ، حتى تأتى على آخرهم ، ولا يبقى إلا النواة . وكانوا من شدة الحر والعطش يشربون الفرث ، ويجعلون ما بقى على كبدهم .

قال أبو بكر رضى الله عنه : يارسول الله ، إن الله قد عودك خيرا ، فادع الله ،قال : « أتحب ذلك ؟ » قال : نعم ، فرفع رسول ﷺ يديه ، فلم يرجعا حتى غامت السماء ، فأظلت ثم سكبت ، فملئوا ما معهم من الأوعية ، ثم ذهبنا ننظرها فلم نجدها جاوزت العسكر .

وذكر الله تعالى عقب الكلام على المتبعين والمتخلفين خطابا عاما للمؤمنين جميعا :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

أى اتخذوا الوقاية من غضب الله وعقابه بطاعته فى كل ماتأتون وما تذرون ، وكونوا مع الصادقين فى دين الله ،نية ،وقولا ، وعملا ، وفى الأيمان والعهود ، وفى كل شئون الحياة .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستعين بالرأى العام فى أحكامه على الولاة ؛ جاء فى البخارى عن جابر بن سمرة – رضى الله عنه – أن أهل الكوفة شكوا عاملهم سعد بن أبى وقاص الفاتح العظيم ، حتى ذكروا أنه لايحسن يصلى ، فأرسل إليه عمر بن الخطاب ، فقال : ياأبا أسحق ، إن هؤلاء يزعمون أنك لاتحسن تصلى ، فقال : أما والله فإنى كنت أصلى بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لاأخرِمُ منها : أُصلى صلاة العشاء ، فأرْكدُ فى الأولَيَيْن وأُخِفُّ فى الأُخرَيَيْن ، قال : ذاك الظن بك ياأبا اسحق ، فأرسل معه رجلا أو رجالا إلى الكوفة فلم يدع مسجدا إلا سأل عنه ، ويثنون عليه ، حتى دخل مسجدا لبنى عبس ، فقام رجل منهم يقال له : أسامة بن قتادة – يكنى أبا سَعدة ، فقال : أما إذْ نشدتنا فإن سعدا كان لايسير بالسَّرِيَّةِ ، ولايقسم بالسَّوِيَّة ، ولا يعدل فى القضية ، قال سعد : أما والله

لَأَدْعُوَنّ بثلاث : اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا ، قام رياء وسمعة ، فَأَطِلْ عمره ، وأطل فقره ، وعرضه للفتن . فكان بعد ذلك إذا سئل يقول : شيخ كبير مفتون ، أصابتني دعوة سعد . قال عبد الملك بن عُمَير – الراوى عن جابر بن سَمُره – فأنا رأيته بعدُ قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر ، وإنه ليتعرض للجوارى فى الطريق فيغمزهن . وشُكِيَ إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – عمار بن ياسر ، وهو من تعرف من السابقين الأولين إلى الإسلام ، ولعلك تذكر ما لاقاه آل ياسر من التعذيب لما أسلموا .

وكان عمار أميرا على الكوفة بعد سعد بن أبى وقاص ، فاستقدمه أمير المؤمنين مع وفد يمثل أهل الرأى من الكوفة ، ثم سأل الوفد عن مبعث ألمهم من عمار ، فقال بعضهم : إنه ليس ذا كفاية ولادراية ؛ وقال بعضهم : إنه لايفقه معنىً لما استعمل فيه من الإمارة ، فاختبره عمر اختبار خبير بالكوفه وأهلها ، ولم يطمئن إلى إجابته ، فعزله .

* * *

هذه نبذه فيها إشارة وجيزة إلى شمول الإسلام ، وإلى الرأى العام فيه ، وقد أتبعتها بالتعريف بالرأى العام وموقفه فى الأمم الحرة والأمم المستعبدة ، وإلقاء أنوار كاشفة للرأى العام عن التجار والموظفين ومعاهد التعليم والعمال والمواصلات ، وبيان شُعَب

الرأى العام الإسلامى : الشعبة الخارجية والشعبة الداخلية ، وشعبة الشورى ، واستطلاع الرأى العام فى الأزمات العنيفة ، وتربية الرأى العام فى الإسلام وتنشئته ، وأثر معاهدة الحُديْبِيَة فى الرأى العام داخل الجزيرة العربية وخارجها ، وأثر الجزية فى الرأى العام ، ومراقبة الرأى العام للأفراد ، وثورة الرأى العام على المنكر وجهاده ضده ، وفى ثورة الرأى العام وجهاده المنكر نجاة المجتمع ، وفى تركهما هلاكه ، والرأى العام حق يجب اتباعه ، وعقاب الخارجين على إجماع الأمه ، والإشاعات الضارة وأثرها ، والمنافقون والإشاعات ، وعقاب مذيعى الإشاعات الضارة فى الدنيا وفى الآخرة .

هذا ما أمكننى الكتابة فيه فيما يتعلق بالرأى العام وأرجو من ربى أن يغفر لى زلاتى ، وأن يجعل هذا المجهود خالصا لوجهه ، وهو خير مسئول أن يمنحه القبول .

المؤلف

معنى الرأى العام

هو رأى جمهور الأمة : أى أكثرها وأغلبها ؛ فإذا رأى معظم الأفراد رأيا واحدا فى حدث من الأحداث . أو مسأله من المسائل ، أو فى ناحية من نواحى الحياة الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية اعتبر ذلك رأى الأمة جمعاء فى هذا الموضوع .

أما الآراء الفردية المتفرقة فلا اعتداد بها ؛ إذ لاتمثل إلا أصحابها ولا تُعَبِّرُ إلا عن مصلحتهم أو وجهتهم الخاصة .

الرأى العام فى الأمم الحرة

الرأى العام ذو خطر عظيم ، وأثر بعيد فى حياة الأمم ؛ فالأمة الحرة المثقفة يكون رأيها صريحا نيراً ينير للحكام والزعماء والقادة والموظفين ، وسائر الأفراد والجماعات الطريق إلى رقى الأمة وتقدمها ؛ سياسة واقتصاداً واجتماعا ، كما يلقى بضوئه على أعمالها ، فيجليها للجميع ؛ ويقول للمحسن أحسنت ، ويشجعه على الدأب فى إحسانه ؛ حتى يعظم حاله ، وتثمر أعماله ، ويقتدى به أمثاله . ويقول للمسىء أسأت ، ويلهبه بسوطه اللاذع ؛ ولايزال يتابعه حتى يحيى ضميره الوّازع ؛ فيعدل عن إساءته ويصلح اعوجاجه ؛ فتستقيم قناته ، وتسمو غاياته .

هذا الوعى الجمهورى يلزم كل فرد حده ، ويقفه عند قدره ؛ لأنه بالمرصاد لجميع الأفراد . وبهذا الرأى الصريح تسلك الأمة الطريق الصحيح ؛ فتنهض المشروعات العظيمة ، وتسود الأخلاق القويمة ؛ فلا غش ، ولاارتشاء ، ولا تقصير ، ولا محاباة ، ولا ظلم ، ولازيف فى الانتخاب ؛ لأن الرأى العام يقظ يفطن لكل صغيرة وكبيرة ؛ فسرعان ما يكشف الستار عن كل من يحاول ارتكاب شيء من هذه المقابح وما يشبهها مما يضر بالوطن والأمة .

فالرأى العام فى الأمم القوية ــ زيادة على كونه نبراسا ينير لها الظلام ، ويقودها دائما إلى الأمام ــ يقيم الوزارات ويُقَوِّمها ويسقطها ، ويشعل الثورات ويلهبها ويخمدها .

الرأى العام فى الأمم المستعبدة

أما إذا كانت الأمة غير متمتعة بحريتها ذليلة خاضعة لغيرها ، مستعبدة لسواها – فإن رأيها العام يكون عليلا ؛ كبصيص ضئيل من النور ؛ لا يرشد إلى حق يتبع ، ولا يكشف باطلا يجتنب ؛ وعهدنا بالاحتلال الإنجليزى قريب ؛ إذ كانت جمهرة الصحف المصرية محشوة بما يوحى به المستعمرون ، مليئة بكل ما يثبت قدم الاستعمار ، وكلمة واحدة منها فى مصلحة الوطن كافية للاطاحة بها ، والتنكيل بقائلها ؛ وقد فصل من وزارة المعارف أخ لنا شرح بيتا فيه رائحة الوطنية .

ولايزال فى ذاكرتنا ما كان يقرره لنا بعض علمائنا الأفاضل من أن قراءة الصحف حرام يجب اجتنابها ، ولايذكرون من الأسباب إلا أنها مضيعة للوقت ، وكنا ونحن صغار نسخر من هذا القرار ، وكانوا يخفون السبب الحقيقى لحرمة قراءتها ؛ ذلك السبب الذى أدركناه بأنفسنا حينما كنا نتردد على دار الكتب وقرأنا نماذج من هذه الصحف ؛ إذ ظهر لنا حينئذ أنها لاتعبر إلا عن إرادة المستعمر ورغبته . أما رغبة الأمة فكان نصيبها الإهمال إلا من وُرَيقات كانت تصدر فى طى الخفاء الحين بعد الحين ؛ كأنها تنفس مكروب .

وبعد أن نلنا الاستقلال المزيف والمستعمرون فى عقر دارنا كان الرأى العام مزيفا أيضا ، وكان للرجعية والرأسمالية والاستغلالية مع الاستعمار أثر بالغ فى زيفه ، حتى مجلس النواب حينئذ كان لايمثل رأى الأمة الحقيقى ؛ لأن الانتهازيين والرجعيين وأصحاب رأس المال هم الذين يحتلون مقاعد النيابة وهم خلفاء المستعمرين وعملاؤهم ؛ فمجلس النواب لم يكن مظهرا للرأى العام فى الأمة ، ولا ممثلا لأمانيها وإرادتها ، وكان الأحرار منهم مكبوتين مغلوبين على أمرهم ؛ لندرتهم .

واذا كان الرأى العام غير حر ولا مثقف ولا حذر فإن المجال يتسع لكل غاش ، ومرتش ، ومحاب ، وظالم ، ومفسد ؛ فتنحل الأخلاق وتستباح الحرمات ، وتتوارى المشروعات

والإصلاحات ، وتضعف الهمم ، ويقل الإنتاج ، وتتقهقر الأمة ، وتقع تحت سلطان غيرها . وذلك ما كنا فيه .

فالرأى العام فى الأمم الضعيفة لايبالى به ، ولايحسب له حساب ، ولايقام له وزن .

أما الآن فى عهد الاستقلال الحق ، والحرية المطلقة ، والإرادة الطليقة الصادرة من أعماق الأمة ــ فكل إنسان يشعر شعورا قويا بأن مجلس الأمة الحالى نابع من قرارتها ، مظهر لإرادتها ، ممثل لرأيها ، وكذلك الحكومة من صميم الأمة ، ومن سويدائها . وبهذا خطونا خطوات جريئة واسعة فى كل نواحى حياة الأمة .

الرأى العام والتجار

الحكومة وحدها لاتقوى على القيام بواجبها فى جميع نواحى الحياة إلا بمعاونة الشعب ، وليس فى مقدورها الإلمام بكل صغيرة وكبيرة دون مساعدة الجمهور .

لذلك نرجو أن يسلط الرأى العام أضواءه الكاشفة على هؤلاء التجار الجشعين الانتهازيين ، الذين يعملون على تضييق الخناق الاقتصادى حول عنق الأمة ، واشتداد الأزمات العنيفة فى مطالبها الضرورية ؛ باحتكار السلع التى لايمكن لأحد الاستغناء عنها ، وانتهاز الفرص السيئة لرفع الأسعار ، وامتصاص الدماء

يشبعون بها بطونهم ، واختلاس الأموال يملئون بها خزائنهم . وإنا لنهيب بالجمهور أن يكون عونا للحكومة على كشف هؤلاء الخونة ، وأخذهم بما يليق بِجُرْمِهِمْ من عقاب رادع ؛ فإن الحكومة وحدها لايمكنها أن تضع مع كل تاجر حارسا يكفُّه عن إجرامه ، ويحول بينه وبين شراهته ؛ فالعلاج الحق عند الجمهور الذى يستطيع أن يرشد عن الأثيم ، ويقطع معاملته ، حتى يثوب إلى رشده ، ويعود إلى صوابه .

الرأى العام والموظفون

إن دور الوزارات الحكومية ملبئة بالمرتشين ، والمتباطئين ، والمقصرين ، والمهملين ، والعابثين بمصالح الأمة ، والمعرقلين لأعمالها ؛ فلو كان الرأى العام متماسكا يقظا لوقف هؤلاء عند حدهم ، ولألزمهم أداء واجبهم على الوجه الأكمل ؛ بإظهار أمرهم لرؤسائهم ، وكشف حقائقهم لمن يملكون ردعهم ، ويحملونهم على العمل الدائب المثمر .

والأمل عظيم فى لجان تَقَصِّى الحقائق التى ألفها مجلس الأمة من أعضائه ؛ إن هذه اللجان سَتُظهِرُ بِتَقَصِّيها المُجدَّ والمُهملَ ؛ حتى ينال كلٌّ مايستحق من ثواب أو عقاب ، وسيكون ذلك حافزا للمجدّ على زيادة اجتهاده ، ورادعا للمهمل عن اهماله ، وسَتُظْهِرُ أن نصفهم زائد على الحاجة يمكن الإفادة منه فى

ناحية أخرى .

ولا يفوتنا هنا أن نطلب إلى لجان تقصى الحقائق ــ وهى جزء من صميم رأينا العام ــ أن تنظر إلى وضع كل موظف فى عمله ؛ حتى تتحقق أن كل واحد مُقام فيما أُعِدّ له من اختصاصه ؛ فقد ألفنا أن كثيراً منَ الموظفين وضع فى غير ما أُهِّل له ، ويجب أن تختفى هذه الظاهرة فى عهدنا الحاضر ؛ حتى تستقيم الأُمور ، وتتقن الأعمال ، وتسير مصالح الأمة فى مسارها الطبيعى .

الرأى العام فى معاهد التعليم :

يؤسفنى جد الأسف أن استنجد لجان التّقصِّى طالبا إليها أن تُعرِّج على معاهد العلم على اختلاف مراحلها ؛ حتى تتبين أن كل أستاذ أو مدرس يقوم بواجبه كاملا غير منقوص ؛ فإنا نسمع الكثير عن تخلفهم عن محاضراتهم أو دروسهم . والذى يعلم الناس الواجب يجب أن يكون خير نموذج فى أدائه على وجوهه المثلى .

يدعونا إلى هذا حرصنا الشديد على أن تكون معاهدنا سائرة على النظام والعمل المخلصين حتى تتم الفائدة ، وتتحقق الغاية .

ولايسعنا أن نترك هذا الموضوع دون أن نوجه كلمة إلى الطلبة والتلاميذ :

هى أن إقبالهم على محاضراتهم ودروسهم ، وحرصهم الشديد عليها يجذب إخلاص أساتذتهم وحرصهم على إفادتهم بكل ماأوتوا من علم وطاقة ؛ فالمشاعر متبادلة .

والطالب أو التلميذ الذى يعبث بنظام الدرس ، ويعرقل سيره إذا شعر بسرور إخوانه من عبثه تمادى فيه ، وأضاع الفائدة على نفسه وعليهم ، واقتدى به غيرة فكثر العابثون ، وأما إذا قاوموه ، وأشعروه بِسَخَطِهم على عبثه ، فإنه يكف عنه ، ويلزم النظام ، فيستفيد هو وإخوانه من الدرس الفائدة المرجوة .

الرأى العام والعمال :

العمال فى هذا العهد ارتفع شأنهم ؛ وعظم مكانهم ، وصار لهم اعتبار لم يكن لهم من قبل ؛ إذْ نالوا حقوقهم كاملة : رفعت أجورهم ، وخفضت أوقات عملهم ، وساهموا فى إدارة الشركات والمصانع ، وشاركوا فى أرباحها . وعليهم بعد هذا أن يجدوا فى أعمالهم ، وأن يتقنوها ، وأن يخلصوا فيها ؛ حتى يكثر الإنتاج ، وتتحقق للوطن الفائدة ، وعليهم مع ذلك أن يحسنوا معاملة الناس ، ويُوَطِّدوا العلاقة الأخوية بينهم وبين جمهور معامليهم ؛ ليعم الأمن والطمأنينة ، ويسود السلام .

الرأى العام والمواصلات :

إن مشكلة المواصلات مشكلة المشكلات ؛ حلها ليس سهلا ، بل عسيرا جدا ، وكل ما قدم لها من حلول منه مالم يثمر ، ومنه ما أثمر ثمرة ضئيلة ، ولم يأت بالثمرة المرجوة : كتقصير خطوط بعض السيارات واختلاف مواعيد بدء العمل فى المصالح والوزارات .

وفى الرأى العام أن حلها بالإكثار من عدد الخطوط والسيارات ، وهذا أمر لايمكن بين عشية وضحاها ؛ لأن المسألة ترتبط ارتباطا وثيقا بالمال والطاقة المالية ، ولكن ما لا يَحْتَمِلُ التّأجيل أن يَبْدَأ التنفيذ حالا بدءا يشعر به الجمهور ، ويتضح له أثره الفعلى .

والواقع أن هذه المشكلة فيها تهديد للأرواح ، وتعريض للمخاطر ، واضطراب للأمن ، وتعطيل للأعمال ، واختلال للنظام ، فهى من المسائل الحيوية المعقدة التى يجب بذل أقصى مجهود لحلها وإصلاحها .

الرأى العام فى الإسلام

أساس الرأى العام :

الإسلام دين عالمى : للناس كافةً ؛ لايخص شعبا دون شعب ، ولاقطرا دون غيره ، لذلك وَضَعَ للرأى العام أساسا عاما يناسب عمومه ؛ ففرض على المسلمين فى جميع بقاع الدنيا إقامة قاعدة قيادية عامة ذات شعبتين عظيمتين من أهل العلم بهذا المهم الأعظم :

١ – الشعبة الأولى عالمية تعمل على تكوين رأى عالمى مستضىء بنور الإيمان فتشرح مقاصد الإسلام للأمم غير الإسلامية ، وتدعوهم إلى السير على هداه ؛ لتكوين رأى عام مؤمن مستنير بالإيمان ؛ تسوده القيم الروحية ، والأخلاق الفاضلة .

٢ – الشعبة الأخرى تعمل داخل المجتمع الإسلامى ؛ تهيب بالمنحرفين من المسلمين إلى التزام حدود دينهم بالعودة إلى الاستقامة بفعل المعروف : وهو كل ما أمرت به الشريعة ، وترك المنكر : وهو كل ما نهت عنه ،

والقصد من هذه الشعبة تكوين رأى عام داخلى سليم من كل الشوائب .

تقرأ هذا كله فى قوله تعالى فى سورة آل عمران (١٠٤) :

﴿ وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

والأمة فى الآية : الجماعة . فالجماعة الأولى التى : تدعو إلى الخير : أى الإسلام ، ودعوتها خارجية . والجماعة الأخرى : التى تدعو إلى فعل المعروف وترك المنكر ، ودعوتها داخلية .

شعبة ثالثة : الشورى :

يضاف إلى شعبتى الأساس السابقتين : الخارجية والداخلية شعبة ثالثة متممة لهما ، ولاتقل أهمية عنهما : هى شعبة الشورى وهى ذات مظهرين : خارجى ؛ يتمثل فى المؤتمرات والاتفاقات الدولية ، وداخلى يتجلى فى المشروعات والقوانين الداخلية .

وللشورى فى الرأى العام أثر بالغ وأهمية عظيمة ، ولها مزاياها وخصائصها ورجالها ، ومركزها القيادى لايمكن إغفاله فى أمة تبغى الحياة الناهضة ، ولا مبالغة فى هذا : فإن الشورى أسمى مظهر للرأى العام ، وأعظم باعث على إنشاء المجالس النيابية ، والوحدات الاشتراكية ، وهما الصورة الجلية للرأى العام ، ومَصْهرُ آراء الرجال ، وَمَحكُّ أفكارهم ، ومَجْلى تآزُرِهم .

كما أنهما مدرسة جامعة لتقوية ملكة التفكير السليم ، احترام المرء نفسه ، وآراء غيره ، وخضوعه للحق . وهى بهذا

كله منبع السداد والرشاد ، ومعِين قوام المعاش والمعاد ، ومدعاة إصلاح الأمم والبلاد .

قال الله تعالى فى سورة آل عمران من آية (١٥٩) مخاطبا نبيه محمد ﷺ :

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾

أى استخرج آراءهم ، واستطلعها فى شئونك الهامة ، فإذا صممت على إمضاء ما تريد بعد المشاورة ، فأَقْدِمْ عليه مُعْتمدا على الله واثقا به وبنصره ، لا على المشاورة ، فإن الله جلت قدرته يحب المعتمدين عليه الواثقين به ؛ يعينهم وينصرهم فى كل أمورهم من حرب أو سلم أو إصلاح ، أو غير ذلك .

وفى مشاورة النبى ﷺ لأصحابه قبل بدء معركة بدر وفى شأن أسراها ، وفى غير ذلك من الأمور الهامة – تطبيق للأمر الإلهى ، وتقرير لحرية الرأى ، وغرس لفضيلة المشاورة فى نفوس المسلمين ، وقال ﷺ :

« مَاشَقِيَ قَطُّ عَبْدٌ بِمَشُورَةٍ ، ومَا سَعِدَ بِاسْتِغْنَاءِ رَأْيٍ »

وقال الحسن البصرى : « ماأمر الله نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم ؛ وإنما أراد أن يعلمهم ما فى المشاورة من الفضل ،

ولتقتدى به أمته من بعده »

وقد مدح الله الأنصار بالعمل بهذا المظهر الرائع . والتوسل إلى اجتلاء أقوم الآراء بهذه الوسيلة النبيلة ؛ فقد كانوا إذا حزبهم أمر اجتمعوا وتشاوروا ، قال تعالى :

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب :

« إِذَا رَأَيْتُم فِيَّ اعْوِجَاجًا فَقَوِّمُونِى »

فقيل له :

« إِذَا رَأَيْنَا فِيكَ اعْوِجَاجًا قَوَّمْنَاهُ بِالسَّيْفِ »

فقال :

« اَلْحَمْدُ للّهِ الَّذِى جَعَلَ فِي الأُمَّةِ مَنْ يُقَوِّمُ اعْوِجَاجَ عُمَرَ بِالسَّيْفِ » .

وقد جعل رضى الله عنه الخلافة – وهى أعظم المناصب – شورى بين أهل الرأى من المسلمين .

قال البخارى رحمه الله : « وكانت الأئمة بعد النبى ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم فى الأمور المباحة ؛ ليأخذوا بأسهلها »

وكان أمراء المؤمنين وأئمتهم يتقبلون من أهل الرأى نصائحهم شاكرين ، ويشجعونهم على إبدائها ؛ والأمثلة على ذلك كثيرة جداً ، يحضرنى منها الآن ما كتبه أبو عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما إلى عمر بن الخطاب لما ولى إمارة المؤمنين ،قالا :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من أبى عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب :

« سلام الله عليك ، فإنا نحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فإنا عهدناك وأمر نفسك لك مهم ، وإنك ياعمر أصبحت وقد وليت أمر أمة محمد ؛ أحمرها وأسودها ؛ يجلس بين يديك الصديق والعدو ، والشريف والوضيع ، والشديد والضعيف ، ولكل حصته من العدل ؛ فانظر كيف أنت ياعمر عند ذلك ، وإنا نُذَكِّرُكَ يوما تُبْلى فيه السرائر ، وتُكْشَفُ فيه العورات ، وتظهر فيه الْمُخبَّآت ، وتعنو فيه الوجوه لملك قاهر ؛ قَهرَهُم بِجَبَرُوتِه ، والناس له داخِرُون ، ينتظرون قضاءه ، ويخافون عقابه ، ويرجون رحمته .

وإنه بلغنا أنه يكون فى هذه الأمة رجال يكونون إخوان العلانية أعداء السريرة .

وإنا نعوذ بالله أن تنزل كتابنا من قلبك سوى المنزل الذى

نزل من قلوبنا ؛ فإنا إنما كتبنا إليك نصيحة لك . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

فكتب إليهما عمر متقبلا نصيحتهما بأحسن قبول ، مقَدِّراً مبلغ صدقهما ، وشرف قصدهما ، ومُسْتزيدا من نصائحهما ، ومُصَرِّحا بحاجته إليهما ، قال فى آخر كتابه :

(وكتبتما تُعوذانى بالله أن أنزل كتابكما منى سوى المنزل الذى نزل من قلوبكما وإنما كتبتما نصيحة لى ، وقد صدقتما ، فتعهدانى منكما بكتاب ، ولاغنى بى عنكما)

١ - فانظر كيف صارح أبو عبيدة ومعاذ بن جبل عمر بن الخطاب ، وواجهاه بأن المعهود فيه أنه شخص يعنى بنفسه ، ويهمه أمرها .

٢ - وصورا له عظم التبعة الملقاة على عاتقه بإسناد الإمارة إليه ، ثم حذراه العاقبة وحساب الآخرة يوم يقف الناس أمام أحكم الحاكمين .

٣ - وأخبراه أنه سيكون فى هذه الأمة من يتظاهر بما ليس فيه ، فليحذر هؤلاء المنافقين .

٤ - وأنهما لايقصدان بكتابهما غير النصيحة ويتحصنان بالله أن يفهم من كتابهما ضد ذلك .

٥ – ثم انظر كيف قدّر عمرُ بنُ الخطاب إخلاصهما ورجا منهما أن يتابعا له نصائحهما ، وأنه لايستغنى قط عنهما ، ولا عن إرشادهما .

استطلاع الرأى العام فى الأزمات العنيفة

لاشك أن المجلس النيابى صورة جلية لرأى الأمة ؛ فرغبته رغبتها ، ووسيلته وسيلتها ، وغايته غايتها ، فلا غرابة أن يسمى مجلس الأمة .

والحكومة وليدة مجلس الأمة فهما متحدان رغبة ووسيلة وغاية ، ومقصد الجميع واحد ، وذلك كله لا ينافى بل يثبت أن الأمة مصدر السلطات ، ورغبتها أساس الرغبات ، ويجب الرجوع إليهما عند اشتداد الأزمات .

وقد يحدث أن المجلس والحكومة يختلفان على شأن هامٍّ من شئون الدوله الخارجية أو الداخلية ، كالاختلاف على قروض خارجية أو داخلية ، أو أى اتفاق خارجى ، أو الاختلاف على اشتباك مسلح مع دولة أخرى ، أو الاختلاف على أحد المشروعات الداخلية ، أو القوانين الوطنية ولم يمكن تسوية الأمر بين الحكومة والمجلس ، فتضطر الحكومة إلى استطلاع رأى الأمة ، فَتَحُلُّ المجلس ، لانتخاب مجلس آخر يمثل الرأى العام فى المشكلة

الحاضرة .

وفى معركة الانتخاب يتقدم كل مرشح برأيه فى هذه المشكلة فتنتخبه أو لا تنتخبه بناء على رأيه وبذلك يتالف المجلس الجديد بصورة توضح رأى الأمة الحقيقى فى موضوع الخلاف .ومن مظاهر رأى الأمة الصحافة ، فإنها مرءاة مَجْلُوَّة يتجلى فيها رأى المثقفين ، فى القرى والمدن والمحافظات وهى مظهر رائع لرأى الأمة الحقيقى .

فالصحافة ومجلس الأمة والاجتماعات الانتخابية ، والندوات الإذاعية والتلفزيونية ، والجماعات فى الصلوات ، وخطب الجمع والأعياد – هذه كلها ميادين واسعة تتلاقى فيها الأفكار ، وتعترك الآراء ، وتختلف وجهات الأنظار .

ومن جميع هذه وما يحدث فيها من تقليب الأمور على وجوهها المختلفة ، وصورها المتعددة ، ومن خلال مناقشاتها القوية ، ومعاركها الفكرية – يتجلى الرأى العام الناصع ، والاتجاه القومى السليم فى المشكلة القائمة .

ولكن قد يوجد فى خلال الجماهير من يستغلون سُمُوَّ مكانتهم ، أو عِظَم بلاغتهم ، وتدفعهم الأثرة وحب الظهور إلى

زخرفة الباطل وتمويه الرأى الخاطل ، وخداع الناس ، والتلبيس عليهم ، فيغترون بهم ، ويسيرون وراءهم ، ويعتنقون آراءهم ، ويكَونون بذلك كثرة موضعية مُزَيفة ، وحينئذ يرى أصحاب الآراء القويمة فى هذه الناحية أو فى هذا الميدان أنهم صاروا قلة فى كَثْرة ، فيضطرون إلى متابعة الكثرة على خطلها ، مجاراة أو مداراةً ، رغبةً أو رهبةً ، ولايجدون عندهم من الشجاعة مايَحْفِزُهم إلى مجابهة الكثرة الموضعية بالحقائق .

لذلك حذر الرسول الأعظم ﷺ هؤلاء الذين يلبسون الحق بالباطل ، ويقلبون الحقائق للاستيلاء على عقول العامة ، والتوسل بذلك التضليل إلى نيل عرض الدنيا الزائل ومتاعها القليل ، وأوعدهم بشديد العقاب على هذا الوزر الشنيع ، وأن عليهم مثل أوزار من أوقعوهم فى حبائل ضلالهم ، وأوزار من تبعوهم إلى يوم القيامة ؛ ففى الحديث الذى أخرجه الإمام أحمد ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً كَانَ لَهُ مِن الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِك مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ، وَمَن دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَن تَبِعهُ ، لاَ يَنْقُصُ ذَلكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً » .

كذلك حذر الرسول ﷺ ذا الرأى السديد متابعة مثل هذه الكثرة المزيفة المنحرفة عن الحق ، وبين أنه لايليق بكرامته ولا

رجولته أن ينحرف معها ، بل يجب عليه أن يعض على الحق بالنواجذ ، وأن يجهر به ، ولا يبالى ما أصابه فى سبيله ، أما المجاراة أو المداراة باتباع الكثرة الضالة فانتصار للباطل ، وامتهان للكرامة ، وإعدام للرجولة ، وَهَدْر للعقل ، والإسلامُ يقدس الكرامة ، ويصون الرجوله ، ويدعو إلى حرية الفكر واستقلال الرأى ، ففى الحديث الذى أخرجه الترمذى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ :

« لاَ تَكُونُوا إِمَّعَةً : تَقُولُونَ : إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا ، وَإِنْ أَسَاءوا أَسَأْنَا ، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ – إِنْ أَحْسَنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا – أَلاَّ تَظْلِمُوا » .

الإمعة : الذى يقول : أنا مع الناس ، إن أحسنوا أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، فهو لا رأى له ، ولا يثبت على حال ، ولا يستقر على قرار ، وبمثله تهدر العقول ، وتنصر الأباطيل ، وينتقص العلم ، وتقف المشروعات ، ولا تظهر المخترعات ، وتتقهقر الأمم ، والرجل القوى الإيمان لا يقبل أن يكون إِمَّعة ، بل إيمانه القوى وشجاعته القوية النابعة من ذلك الإيمان يلزمانه بإعمال فكره ، وتوطين نفسه أى إعدادها وتمهيدها وتذليلها للتمسك بالحق ، والتزام مصلحة الدين والوطن .

تنشئة الرأى العام فى الإسلام داخل الجزيرة العربية

وللإسلام فى تنشئة الرأى العام مواقف حميدة ، وتوجيهات مجيدة ونظرات بعيدة وآراء رشيدة .

أثر معاهدة الحديبية داخل الجزيرة العربية

من هذه المواقف معاهدة الحديبية التى عقدت بين النبى ﷺ وقريش فى السنة السادسة من الهجرة فإن المتأمل فى نتيجتها لا يدخله أدنى ريب فى أنه ﷺ كان أوسع القوم فكرا ، وأبعدهم نَظَرا ، وأسَدهم رأيا ، وأسماهم سياسة وكياسة ، إذ لم يعرف التاريخ معاهدة أثمرت أطيب الثمرات – على خلاف ما كان يبدو منها – مثل معاهدة الحديبية ، فقد كانت من أعظم الوسائل إلى إظهار دين الله ، وتطبيقه الجزيرة العربية .

وذلك أن النبى ﷺ أراد زيارة البيت الحرام ، فخرج مع ألف وأربعمائة من المهاجرين والأنصار ، فلما وصل إلى الحديبية (موضع بقرب مكة) أبت قريش أن يدخل مكة على غير إرادتهم ، وأبى ﷺ إلا أن يزور على رغم كل مقاومة ، فتفاوض الفريقان ، وانتهت المفاوضة بعقد معاهدة على النحو الآتى :

١ – وضع الحرب بين المسلمين وقريش عشر سنوات .

٢ – من جاء المسلمين من قريش يردونه إليهم ، ومن جاء

قريشا من المسلمين لا يلزمون ردّه .

٣ – يرجع النبى ﷺ من غير زيارة هذا العام ، ثم يأتى العام المقبل ، فيدخل مكة بأصحابه بعد أن تخليها له قريش ثلاثة أيام ، فيقيم بها هذه المدة ، ليس مع أصحابه من السلاح غير القوس والسيف فى القراب .

٤ – من أ. اد أن يدخل فى عهد محمد من غير قريش دخل فيه ، ومن أراد أن يدخل فى عهد قريش دخل فيه

فاعترى المسلمين من هذه المعاهدة هَمٌّ عظيم ، ودخلهم كرب شديد لأنهم رأوا فيها إجحافا بحقوقهم ، وغضا من شأنهم ، وقالوا : كيف نرد إليهم من جاءنا مسلما ، ولا يردون إلينا من جاءهم مرتدّا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام :
« إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَدَهُ اللهُ ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ فَرَدَدْنَاهُ إِلَيْهِمْ فَسَيَجْعَلُ اللهُ لَهُ فَرَجاً وَمَخْرَجاً » .

وكان حزن المسلمين لصدهم عن الطواف بليغا ، وثارت ثائرة عمر بن الخطاب على المعاهدة ، واحتج عليها احتجاجا شديدا ، وتكلم كلاما عنيفا ؛ غَيرةٍ على الإسلام والمسلمين ، ولكن الأيام أثبتت بُعد نظره عليه الصلاة والسلام ؛ إذ كانت هذه المعاهدة أساسا متينا ، وركنا ركينا لرأى عام قوى يؤيد الإسلام ، ويدعو إليه :

وذلك أنه بعد عَقد المعاهدة اختلط المسلمون بقرابتهم وصحابتهم من أهل مكة ، وأخذوا يقصون عليهم من أحوال النبى ﷺ ، ومعجزاته ، وحسن سيرته ، وجميل طريقته ، وسمو عقيدته ، ويوضحون لهم مقاصد الإسلام الباهرة ، ووسائله الطاهرة ، وشرائعه الظاهرة ، واتجاهاته النيرة ، فخالطت بشاشته قلوبهم ، وقذف الله نوره فيها ، فبادر كثير منهم إلى الإسلام قبل فتح مكة ، وازداد الآخرون ميلا إليه فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم ؛ لما استقر فى نفوسهم من الميل السابق ، ثم دخل الناس فيه أفواجاً .

وإن معاهدة تثمر هذه الثمرات ، وتفيد هذه الفوائد – لأوضح برهان على ما للنبى ﷺ فى السياسة من عظيم الشأن ، وماله من نظر يخترق حجب الأيام ، ويمتد على أفق الأعوام ، وذلك كله بعون الله وتوفيقه .

قال سيدنا أبو بكر – رضى الله عنه –

« مَا كَانَ فَتْحٌ فِي الْإِسْلَامِ أَعْظَمَ مِنْ فَتْحِ الْحُدَيْبِيَةِ ، وَلَكِنَّ النَّاسَ قَصَرَ رَأْيُهُمْ عَمَّا كَانَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَرَبِّهِ ، وَ الْعِبَادُ يَعْجَلُون ، وَاللهُ لاَ يَعْجَلُ لِعَجَلَةِ الْعِبَادِ ، حَتَّى تَبْلُغَ الْأُمُورُ مَاأَرَادَ » .

يصدِّق ما ذهب إليه سيدنا أبو بكر نزولُ سورة الفتح على النبى ﷺ فى رجوعه من الحديبية ، وفى أولها يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ﴾ .

ولاشك في أن معاهدة الحديبية كانت فتحاً ظاهراً واضحا ، كانت سبباً في إيضاح الحق بقوة الرأى العام . الذى كانت المعاهدة أساسه القوى ، ويكفى فى الدلالة على رفعة شأنها ، وبعد أثرها أن الله تعالى سماها فتحاً مبيناً ، وأعقبها نصراً عزيزاً .

قال الزهرى – رحمه الله تعالى – : « لقد كان فتح الحديبية أعظم الفتوح ؛ وذلك أن النبى ﷺ جاء إليها فى ألف وأربعمائة ، فلما وقع الصلح مشى بعضهم إلى بعض ، وعَلموا وسمعوا من الله ، فما أراد أحدا الإسلام إلا تمكن منه ، فما مضت تلك السنتان إلا والمسلمون قد جاءوا إلى مكة فى عشرة آلاف »

أثر معاهدة الحديبية خارج الجزيرة العربية :

كان لمعاهدة الحديبية أثر آخر لا يقل أهمية فى دعم الرأى العام عن الأثر الأول ، ذلك أن النبى ﷺ لما أمن بهذه المعاهدة جانب قريش شرع يعمل عملا عظيما تمتد به آفاق الرأى العام الذى كان وليد المعاهدة ؛ إذ أخذ يوسع أفق الدعوة ، ويتجاوز بها جزيرة العرب ، فكتب إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام : كتب إلى قيصر ، وكسرى ، والنجاشى ، وأمراء بصرى ودمشق ومصر .

ولا بد أن هذه الكتب تسربت أخبارها إلى شعوب هؤلاء الملوك والأمراء ، فكان للرأى العام الذى أحدثته دَوِىٌّ فى هذه الشعوب ، وقد بلغ الرأى العام مبلغاً مُرَوِّعاً لها يسبق الغزوات والحروب ، ويعمل عمله فى النصر الإسلامى المؤزَّر ، ولعل هذا الرأى العام المدوِّى هو أساس الرعب الذى أخبر عنه الرسول ﷺ فى الحديث المتفق عليه عن جابر بن عبدالله – رضى الله عنه – قال :

« أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِن الأَنْبِيَاءِ قَبْلِى : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيَرةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِىَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً ، فأَيُّمَا رَجلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ ، وَأُحِلَّتْ لِىَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِى ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ ، وكَانَ النَّبِىُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً » .

أثر الجزية فى الرأى العام الإسلامى

ومما له أثر فى تكوين رأى عام يؤيدُ الإسلام كأثر معاهدة الحديبية – الجزية التى تفرض على أهل الكتاب المحاربين والتى ذكرها الله تعالى فى سورة التوبة :آية (٢٩) :

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ ..

الجزية : مايفرضه أمير المؤمنين من المال على الأحرار من الذكور البالغين الموسرين من أهل الكتاب المحاربين إنهاء للحرب ، يعطونها عن يَد وهم صاغرون : يسلمونها إلى ولى الأمر أو إلى من ينيبه يداً بيد منقادين أذلاء . وليس قصد الإسلام من أخذ هذه الجزية على هذه الصورة مجرد المال أو الإذلال ، بل قصده إنهاء حالة الحرب ، وإيجاد حالة هدوء واستقرار ، تطمئن فيها النفوس ، وتهدأ الخواطر ، ويختلط فيها المسلمون بأهل الكتاب بالمجاورة والمعاشرة والمصادقة .

وفى هدوء هذا السلم يمكن للكتابيين أن يقفوا على شرائع الإسلام السامية ، ومقاصده الراقية ، ووسائله الشريفة ، ونواحيه القويمة . وصفاته الكريمة ، وأن يعرفوا مافيه من عدالة ومساواة ، ومواساة وأُخُوَّة ، وتعاطف ، وتراحم ، وما إلى ذلك من كل ماجاء به الإسلام ، ومِنْ جمعه مزايا الأديان السماوية التى سبقته ، وزيادة مايقتضيه تطور الحضارات السليمة القويمة المتجددة إلى يوم القيامة

يدفعهم كل ذلك إلى التفكير فى الموازنة بين الإسلام الذى جمع فى كتابه وأحاديث رسوله بين كل الأديان السماوية ، وأقر بجميع الرسل التى جاءت بها ، وبين ماهم عليه من تغيير وتبديل ، وذلة ومهانة ، فيسودهم بذلك رأى عام قوى نفسى يدفعهم دفعاً قوياً إلى التخلص من ذل الجزية إلى عز الحرية ، ومن غل التقليد الأعمى إلى انطلاق الفهم السليم والعلم الصحيح .

فما أشبه أثر الجزية العظيم بأثر معاهدة الحديبية : الفتح المبين .

مراقبة الرأى العام الإسلامى للأفراد دائمة بدقة ورقة

يجب على المؤمن لأخيه المؤمن الصفاء الذى لا تشوبه شائبة ، والإخلاص الذى لا حد له ، والمراقبة التامة ؛ لكنها ليست مراقبة تجسس وبحث عن العيوب لنشرها ، بل مراقبة أخوة ومحبة ، وعطف وشفقة ؛ ليرْشده إذا ضل ، ويُنْهضَه إذا زَل ، وينَشطه إذا مل ، ويعينَه على معاشه ومعاده ، ويدْفعَ عنه كل ما يَشينه ، ويُجنبه كل ما يؤذيه فى حضرته وغيبته ، ويبعد عنه كل مايدَنسه من القذارة الظاهرة والباطنة ، الحسية والمعنوية ؛ يشير إلى ذلك كله قول الرسول الأعظم ، ﷺ :

« إنَّ أَحَدَكُمْ مِرءَاةُ أخِيهَ ، فَإنْ رَأى بِهِ أذًى فَلْيُمِطْهُ عَنْهُ » .

وقوله :

« الْمُؤمِنُ مِرْءَاةُ الْمُؤْمِنِ ، وَالْمُؤْمِنُ أخُو الْمُؤْمِنِ ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ ، وَيَحوطهُ مِن وَرَائِهِ » .

يميطه عنه : ينحيه ويبعدُه .

يكف عليه ضيعتهُ : يعاونه فيها . وضيعة المرء : ما به معاشه من صناعة أو تجارة أو زراعة أو غيرها

يحوطهُ من ورائِه : يصونهُ ويدْفع عنه كل ما يؤذيه فى غيبتهِ .

فالمرءاة المجلوة لا تحجب عن صاحبها شيئاً فى وجهه دون أن تظهره له واضحا ؛ يشينه أو يزينه ، يرضيه أو يسخطه ؛ كذلك المؤمن مع أخيه الْمؤمن ؛ ينبغى أن يبدى له صورة نفسه ، وحقيقة حاله ؛ بما هو عليه من محاسن يشّجعه على الثبات عليها ، والزيادة من أمثالها ، ومساوى يدعوه إلى الإقلاع عنها ، والبعد عن مثيلاتَها ، مع مساندته فى كلتا الحالتين .

ويجب عند ذكر المحاسن والمساوى الوقوف عند الحقائق مجردة من المبالغة والتهويل ، فى موعظة حسنة رقيقة لينة ؛ فذلك أدعى إلى الامتثال ، وإصلاح الحال .

ولم يقف حديث الرسول ﷺ عند حد تمثيل المؤمن بالمرْءَاةِ ، بل سما به إلى المزية العظمى : مزية الإنسانية ، وفضيلة البشرية : وهى التعاون على تحصيل الخير من جميع وجوهه المشروعة ، وألوانه المتعددة ، فى معاش الإنسان ومعاده ، والتعاون على دفع الأذى ؛ بطرحه عن أخيه فى غيبته ، أو مساعدته على إزالته ، ولو بإرشاده إلى وسيلة إبعاده ، أو بالنصح له بالتخلى عنه ، فقد روى ابن النجار عن جابر – رضى الله عنه – أن الرسول ﷺ قال :

« الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ لاَيَدَعُ نَصِيحَتَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ »

ولو اتبعنا هذه السنة العظيمة ما كان فينا تاجر غاش ، ولاصانع مُدلسٌ ، ، ولا موظف مرتش ، ولا وطني منحرف ولاخائن ، ولانتفتْ من بيننا الرذائل ، وسادت الفضائل ، وكنا من ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ .

ثورة الرأى العام على المنكر وجهاده فى إزالته

الرأى العام الإسلامى مجمع على وجوب الثورة على المنكر ومحاربته ، ومحوه بكل ما يمكن من طاقة ؛ لأن المنكر وباء إذا غفل عنه استشرى في الأمة ، واستعصى علاجه ؛ لهذا كان الإجماع على وجوب تغييره بمجرد ظهوره .

ولاتعجز أية طاقة مهما ضعفت عن المشاطرة بصورة من الصور التى وردت فى الحديث الشريف الذى أخرجه الأئمة عن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« مَنْ رَأى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ . وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ » .

وفى الحديث الذى أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – قال رسول الله ﷺ .

« مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ في أُمَّةٍ قَبْلِي إلا كَانَ لَهُ حَوَارِيُّونَ

وَأصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِن بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ ، وَيَفْعَلُونَ مَالاَيُؤْمَرُونَ ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُو مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ . وَلَيْس وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمانِ حَبَّة خَرْدَلٍ » .

وظاهر من هذين الحديثين أن جهاد المنكر واجب على الجميع كل واحد على قدر ما يستطيع ، باليد أو اللسان أو القلب . وبدهى أن التغيير بالقلب يصاحب التغيير باليد أو اللسان ؛ فالتغيير بالقلب فرض عَينٍ على الجميع . وزيادة اليد أو اللسان عليه فرض على القادرين عليها عند تحقق الفائدة أو غلبة الظن بها ، وإذا لم يغلب الظن بالفائدة كان مندوبا فقط عليهم باعتبارهم أفرادا ، ووجب عليهم حينئذ الاستعانة بولى الأمر ، فإن له تمام القدرة على المنع بالقوة من جميع ألوانها .

فى الثورة على المنكر وجهاده نجاة المجتمع وفى تركهما هلاكه

قال الله تعالى فى سورة الأنفال (٢٥) :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَديدُ الْعِقَابِ ﴾ .

يوجب الله تعالى فى هذه الآية الكريمة على المؤمنين أن

يأخذوا على أيدى الظالمين ، ويحولوا بينهم وبين الاستمرار فى ظلمهم . وإن القيام بهذا الواجب هو الوقاية المنيعة التى تنجيهم من المحن والبلايا والشدائد والمصائب التى ينزلها الله بالظالمين ، وإلا يقوموا بهذا الواجب عمهم العذاب .

فالناس إذا ظهر بينهم المنكر تحتم على كل من رآه أو سمع عنه أن يغيرهُ ؛ فإذا سكتوا عليه .

فكلهم عاصون ، هذا بفعله ، وهذا برضاه . وقد جعل الله فى حكمه وحكمته الراضى بمنزلة العامل ؛ فتنتظمهما العقوبة

قال رسول الله ﷺ :

« إِنَّ اللهَ لاَيُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ حَتَّى تَكُونَ الْعَامَّةُ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَى الْخَاصَّةِ فَإِذَا لَمْ تُغَيِّرْ الْعَامةُ عَلَى الْخَاصَّةِ عَذَّبَ الله الْعَامّةَ والْخَاصَّةِ »

الإمام أحمد عن عدى بن عميره

والرسول ﷺ يقول :

« مَثَلُ الْقَائِمِ فِي حُدُودِ اللهِ وَالْواقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا ، وَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا استَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَقالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقاً ، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا . فَإِن تُرِكُوا وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جميعاً ؛ وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا

وَنَجَوْا جَمِيعاً » .

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال :
« إِذَا خَفِيَتْ الْخَطِيئَةُ لا تَضُرُّ إلاَّ صَاحِبَهَا ، وَإِذَا ظَهَرتْ فَلَمْ تُغَيَّرْ ضَرَّتْ الْعَامَّةَ » .

ففى هذه الأحاديث هلاك العامة بذنوب الخاصة . واستحقاق عقوبة المنكر بترك الثورة عليه وعدم جهاده

ومن كرامة المؤمن أن يكون شجاعا فى الدفاع عن الحق مهما تكن قوة المخالفين ومكانتهم .

(ا) قال الله تعالى فى سورة الأحزاب من آية (٥٣) :
﴿والله لاَ يَسْتَحِيْ مِن الْحَقِّ﴾

(ب) وقال الرسول ﷺ مما رواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه :

« لاَ يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ ، أَنْ يَرَى أَمْراً لِله تَعَالى عَلَيهِ فِيه مَقَالٌ ، فَلاَ يَقُولُ فِيه ، فَيَلْقَى الله وَقَدْ أَضَاعَ ذَلكَ فَيَقُولُ الله : مَا مَنَعَكَ أنْ تَقولَ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ : يارَبِّ خَشْيَةُ النَّاسِ ، فَيَقُولُ : فَإِيَّاىَ كُنْتَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَى »

(ج) وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أيضاً قول النبى ﷺ فى حديث طويل :
« لاَ يَمْنَعَنَّ رَجُلاً مَهَابَةُ النّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ ، ألاَ

إِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ » .

(د) وعن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ » .

ظاهرين على الحق : حافظين له ، متمسكين به ، ومدافعين عنه ، وداعين إليه

الرأى العام حق يجب اتباعه

إن نظرة إلى ماسبق تبين أن الرأى العام أمر ثبت صوابه ، فوجب على الأمة إظهاره ، والأخذ به ، والجرى على سننه .

وهذا الرأى العام الذى أوضحناه هو المسمى فى اصطلاح علماء أصول الفقه بالإجماع وهو كما ذكروا : اتفاق أهل الحل والعقد على أمر من الأمور الشرعية أو العقلية أو العرفية .

والمراد بالاتفاق : الاشتراك فى القول أو الفعل أو الاعتقاد .

وأهل الحل والعقد : هم العلماء المجتهدون فى أى علم أو فى أى فن ، أو فى أى فرع من فروعهما ؛ فهم فى الأمور الشرعية : علماء الشريعة ، وفى الأمور الهندسية : المهندسون ، وفى الأمور الصناعية : علماء الصناعة ، وفى التجارية : التجاريون ، وفى الزراعية : الزراعيون ، وفى القانونية : القانونيون ، وفى الحربية : الحربيون ، وما إلى ذلك مما لاتعيه الذاكرة .

فأصحاب الرأى وقادته فى كل ناحية من نواحى حياة الأمة هم أهل الخبرة المجتهدون فيها ، لأنهم بخبرتهم واجتهادهم فى ناحية تخصصهم أعلم من سواهم بالصالح للأمة ، فإذا نبع منهم الرأى ، وكانوا قادته صار من المحقق – مع الإخلاص وحسن النية – الوصول إلى رأى عام قومى سليم يجب اتباعه ، والسير على ضوئه ، وبذلك نضمن للأمة الطريق السليم ، المؤدى إلى النتيجة

المطلوبة ، والثمرة المرغوبة .

١ – ومما يدل على أن الرأى العام الذى هذه ملامحه حق يجب اتباعه مارواه صاحب الذخيرة من قول الرسول ﷺ :

« لاَتَجْتَمِعُ أُمَّتِى عَلَى خَطَأٍ » .

فإجماعها على أمر يدل على أنه صواب وحق يجب امتثاله ، والنسج على منواله .

٢ – وماروواه الترمذى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من قول الرسول ﷺ :

« إِنَّ الله تَعَالَى لاَ يَجْمَعُ أُمَّتِى عَلَى ضَلاَلَةٍ ، وَيَدُ الله عَلَى الْجَمَاعَةِ . مَنْ شَذَّ شَذَّ فِى النَّارِ » .

٣ – وما رواه أبو داود عن أبى مالك الأشعرى : قال عليه الصلاة والسلام :

« إِنَّ الله تَعَالَى أَجَارَكُمْ مِنْ ثَلاَثِ خِلاَلٍ : أَلاَّ يَدعُوَ عَلَيْكُمْ نَبِيُّكُمْ ، فَتَهْلَكُوا جَمِيعاً ، وَأَلاَّ يُظْهِرَ أَهْلَ الْبَاطِلِ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ ، وأَلاَّ تَجْتَمِعُوا عَلَى ضَلاَلَةٍ » .

ففى هذه الأحاديث يخبرنا الرسول ﷺ . وهو الصادق المصدوق : أن الله حفظ هذه الأمة من الاجتماع على ضلاله ، وأخبر أن يد الله على الجماعة أى تكنفها رعايته ونصرته ، وأن من شذ شذَّ إلى النار : أى من خرج على الجماعة وانفرد برأيه وعمل به

أفضى به ذلك إلى النار . وذلك صريح فى أن اتباع الراى الجماعى أمن للمرء ووقاية له من شدائد الدنيا وعذاب الآخرة .

عقاب الخارجين على إجماع الأمة

الخارجون على الإجماع سوس فى جسم الأمة ينخر عظامها ، ويمحو أمنها وسلامها ، ويقصم قوامها ، ويحطم كيانها ، ويهدم بنيانها ، ويفعل فيها من الأفاعيل ، مالا يستطيعه مستعمر ؛ ولايقوى عليه دخيل ؛ فالمستعمرون والدخلاء خارجون عنها ، متميزون منها ، فيمكن الاحتراز منهم . أما الخارجون على الإجماع فهم من الأمة وفيها متغلغلون ، وفى داخلها متوغلون ، فالاحتراز منهم أصعب تناولا ، وأبعد منالا ، وآثارهم بعيدة ، ومضارهم شديدة ، وسهامهم سديدة ، وضربتهم وجيعة ، وأفعالهم بلا ريب شنيعة ، وعَدْوَاهمْ فى الأمة سريعة . وزيادة على شناعة أعمالهم ، هم شر قدوة لأمثالهم .

فهم أعداء تقدم الأمة ، وسر تأخرها ، وعوامل شر فى حياتها ، وعراقيل قوية فى مشروعاتها ، وعوائق منيعة فى سبيل رقيها

وهذه الأفعال لاتصدر عمن عنده ذرة من الوطنية ، أو صفة من الصفات الإسلامية ؛ لذلك يقول الرسول الأعظم ﷺ فى الحديث الذى أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم عن أبى ذر

الغفارى رضى الله عنه :

« مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْراً فَقَدْ خَلَعَ رَبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنقِهِ » .

فمفارقة ماعليه الجماعة مفارقة لما يشد به المسلم نفسه من روابط الإسلام : وهى حدوده وأحكامه ، وأوامره ونواهيه ، لأن هذه الأمور هى التى تسير الجماعة فى نطاقها ولن تجتمع الجماعة على خطأ ولا ضلاله كما سبقت الإشارة إليه .

ويقول الله تعالى فى سورة النساء آية (١١٥) :

﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصيراً ﴾ .

فالذى يخالف الإجماع بعد قيام دلائل الحق الواضحة ، ويتبع طريقا غير طريق المؤمنين نتركه وماإتبع ، ثم ندخله فى الآخرة جهنم وقبحت مآلا ومرجعا .

وإذا أضافوا إلى خروجهم على الجماعة ، السعى بالفساد بالقتل وتمزيق مرافق البلاد ، وقطع شرايين حياتها ، وإفساد مشروعاتها ، فلا غرابة أن يدْعُو الإسلام إلى بترهم من جسم الأمة ، وقطع دابرهم من حياتها ، واستئصال شأفتهم من وجودها :

يقول الله تعالى فى الآيتين (٣٣ ، ٣٤) من سورة المائدة :

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِن خِلاَفٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

فهؤلاء الذين يحاربون الله ورسوله بمحاربتهم المسلمين ، ويفسدون فى الأرض بقتل النفس التى حرم الله قتلها ، أو بتدمير مرافق الوطن ؛ كنسف القناطر ، وتدمير محط الكهرباء ، أو محط الماء ، أو قطع السكك الحديدية ، أو غير ذلك من التخريب – هؤلاء الفاسدون يعاملون بهذه الآية ، من القتل أو الصلب ، أو قطع الأيدى والأرجل من خلاف ، أو النفى من الأرض على مايراه الحاكم منها عند الإمام مالك رضى الله عنه ، ويرى الشافعى رضى الله عنه أن القتل لمن قتل فقط ، والصلب لمن قتل وأخذ المال ، والقطع لمن أخذ المال ولم يقتل ، والنفى لمن أخاف فقط . وماأوجبه الشافعى استحسنه مالك رضى الله عنهما .

وإن جاءنا هؤلاء المجرمون تائبين قبل القبض عليهم قبلنا توبتهم وراقبناهم حتى نتحقق هذه التوبة .

هذا ماورد فى القرآن الكريم عن عقوبة هؤلاء المجرمون الخارجين على الجماعة ، الشاقين عصا الطاعة ، ويقول الرسول ﷺ فيما رواه مسلم عن عرفجة رضى الله عنه :

« مَنْ أَتَاكُمْ وَ أَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ ، وَيُفَرِّق جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ » .

وروى النسائى وابن حبان عن عرفجة قوله عليه الصلاة والسلام :

« سَتَكُونُ بَعْدِى هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ ، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ ، أَوْ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّق أَمْرَ أُمةِ مُحَمَّدٍ ، كَائِناً مَنْ كَانَ فَاقْتُلوهُ ، فَإِنَ يَدَ الله مَعَ الْجَمَاعَةِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَة يَرْكُضُ » .

فالنبى ﷺ يخبر أنه سيكون بعده شرور وفساد ، فمن عمل على نشر هذه الشرور بمفارقة الجماعة ، أو تفريق أمرها فهو من إخوان الشياطين يعمل عملهم ، ويسعى سعيهم ، فيجب قتله حسما للشر وعوامله .

وفى الحديث المتفق عليه مارواه ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ رَأَى مِن أَمِيرِه شَيْئاً يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شِبْرَا فَيَمُوتُ إلاَّ مَاتَ مِيتَةَ جَاهِلِيَّةَ » .

الجاهلية : الحال التى كان عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله ورسوله وشرائع الدين . والمفاخرة بالأنساب ، والكبر ، وغير ذلك ومات ميتة جاهلية : كما يموت أهل الجاهلية

بما هم عليه من الضلال والفرقة .

الاشاعات الضارة وآثارها

الأحاديث المتناثرة ، والأخبار المتطايرة ، التى لاتمت إلى الحقيقة بنسب ، ولا ترتبط بالصدق بأى سبب . هذه الأخبار تفت في عضد الجماهير ، وتضعف الهمم ، وتعرقل العزائم ، وتحطم الآمال ، وتعوق سير الأعمال ، وتوقف الإصلاح .

والإشاعات الفردية : أى التى تكون ضد فرد معين حرام يعاقب الله قائلها ؛ فإن من ذكر امرأ بما ليس فيه يعيبه حبسه الله فى نار جهنم ، حتى يثبت صحة مارماه به . ولن يتسنى له ذلك .

يقول الرسول ﷺ فيما أخرجه الطبرانى فى الكبير عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

« أَيُّمَا رَجُلٍ أَشَاعَ عَلَى رَجُلٍ مُسْلِمٍ بِكَلِمَةٍ ، وَهُوَ مِنْهَا بَرِىءٌ ، يَشِينُهُ فِى الدُّنْيا ، كَانَ حَقًّا عَلَى الله تَعَالَى أَنْ يُدْنِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِى النَّارِ ، حَتَّى يَأْتِىَ بِإِنْفَاذِ مَا قَالَ » .

وذلك كناية عن طول لبثه فى النار . ومن رد عن عرض أخيه كان له حجابا من النار ، فقد ورد فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال :

« مَنْ ذَبَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيه بِالغَيْبَةِ كَانَ حَقاً عَلَى الله أَنْ يَقِيَهُ النَّارَ » .

ثم قرأ .

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وإن كانت الإشاعات جماعية أى ضد الجماعة تضاعف أثرها ، فيتضاعف وزرها ؛ فإنها قد تؤرث الثورات ، وتوقد نار الحروب ، وتسيل الدماء ، وتنشر البغضاء والشحناء ، وتعصف بالأمن والطمأنينة والسلام .

لذلك كله حذرنا الله تعالى الأخبار السيئة والإشاعات الرديئة التى تجرى على ألسنة الفساق وذوى النيات السيئة الذين يعملون على إشاعة الفرقة ، وبلبلة الخواطر ، وإحداث الفوضى فى صفوف الأمة :

قال الله تعالى فى سورة الحجرات فى الآيات (٦ –٨) :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ . وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ والْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ، فَضْلاً مِنَ اللهِ ونِعْمَةً واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

يطلب الله تعالى إلى المؤمنين ألا يعملوا بخبر الفاسق حتى يتعرفوه ويفحصوا عنه فحصاً جيداً يجلى لهم حقيقة مدلوله من صدق أو كذب ، ولا يتسرعوا فى العمل به قبل استجلاء حقيقته ؛ لئلا يقعوا فى خطإٍ جسيم يورثهم هما دائما ، وحزنا مقيما .

ويطلب الله إليهم أنه مادام بينهم رسول الله لا يسبقونه بقول ولافعل ؛ .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ .

أى لاتسبقوا الله ورسوله بقول ولا فعل ولاحكم ، بل كونوا دائما تابعين ، ولاتحاولوا أن تحملوا رسول الله ﷺ على أن يطيعكم فى الأمور ، أو يتبعكم فى الأحكام ، إنكم إن فعلتم ذلك عكستم الآية ، وقلبتم الحقائق ، ونكستم الأحوال ، ولو اتبعكم فى كثير من الأمور لوقعتم فى الإثم والجهد والمشقة والهلاك ، ولكن من فضل الله ونعمته وهدايته أن حبب إليكم الإيمان ، وزين إليكم العمل بما يقتضيه ، وكره إليكم ضده :

وهو الكفر والفسوق والعصيان وجعلكم من الراشدين .

ولنزول هذه الآيات سبب ذكره الإمام أحمد وغيره بسند جيد عن الحارث بن أبى ضرار الخزاعى ، قائد بنى المصطلق ورئيسهم قال : قدمت على رسول الله ﷺ ، فدعانى إلى الإسلام ، فأقررت به ، ودخلت فيه ، ودعانى إلى الزكاة فأقررت بها ، وقلت : يارسول الله ، أرجع إلى قومى فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة ، فمن استجاب لى جمعت زكاته ، فترسل لإبان كذا وكذا ، ليأتيك ماجمعت من الزكاة . فلما جمع الحارث الزكاة وبلغ الإبان احتبس الرسول فلم يأته ، فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة ، فدعا

سروات قومه ، فقال لهم : إن رسول الله ﷺ كان قد وَقَّت وقتا يرسل إليّ رسوله ، ليقبض ما عندى من الزكاة ، وليس من رسول الله ﷺ الخلف ، ولا أدرى حبس رسوله إلا من سخطة ، فانطلقوا فنأتى رسول الله ﷺ .

وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة ، ليقبض ما كان عنده وكان بينه وبينهم عداوة فى الجاهلية ، فلما أن سار ، وقرب منهم ذكر عدواته فهابهم وخاف ، فرجع ، فقال : إن الحارث منعنى الزكاة وأراد قتلى ، فأكثر المسلمون فى ذكر غزوهم ، وزين بعضهم ذلك للنبى ﷺ ولكن الرسول أرسل بعثا إلى الحارث ، فأقبل الحارث بأصحابه ، إذ استقبل البعث ، فقال لهم : إلى أين بعثتم ؟ قالوا . إليك ، قال : ولم ؟ قالوا . رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة ، فزعم أنك منعته الزكاة ، وأردت قتله ، قال : لا ، والذى بعث محمداً بالحق مارأيته ، ولا أتانى . فلما دخل على رسول الله ﷺ قال : منعت الزكاة ، وأردت قتل رسولى ؟ قال : لا ، والذى بعثك بالحق فنزلت :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبإٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ واللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

هذا سبب نزول هذه الآيات الكريمة . وإن كان سبب نزولها فعلة الوليد بن عقبة إلا أن المراد بها عام لكل من حدث منه

مثل ما حدث من الوليد ؛ لأن العبرة دائما بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، والعموم هنا مفهوم من مجىء لفظى « فاسق » « ونبأ » منونين منكَرين .

المنافقون والإشاعات

المنافقون : الذين يبطنون الكفر ويتظاهرون بالإسلام ، فهم أناس فسدت قلوبهم ، وامتلأت بالعقائد السقيمة ، وخوت من كل عقيدة سليمة ، ولكن مناظرهم وصورهم خلابة ، تخدع من لم يعرف خبث طواياهم .

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ، وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ، كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ، يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ، هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ، قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ .

وصفهم الله فى هذه الآية الكريمة من السورة المسماة باسمهم بجمال أجسامهم وضخامتها وبلاغة ألسنتهم ، مع بلادة طبعهم وفهمهم ، ووصفهم بالجبن والعداوة للمؤمنين ، ثم حذرنا إياهم فلا نطلعهم على أسرارنا فيفشوها للكفار ، ويذيعوها للأعداء . أهلكهم الله كيف يصرفون عن الإيمان ، بعد قيام البرهان .

فهؤلاء المنافقون يسرهم اضطراب أمور المسلمين ، واختلال أحوالهم ، وبلبلة خواطرهم ، وفزع قلوبهم ، وقلق نفوسهم ، ودوام حزنهم وهمهم .

لذلك كانوا مصادر إذاعات ضارة ، ومعامل إشاعات سيئة

ضد الإسلام والمسلمين يقول الله تعالى فى سورة النساء آية (٨٣) :

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

وهذاوصف آخر من أوصاف المنافقين : إذاعة الشائعات الضارة بالمسلمين ؛ لما كان النبى ﷺ يرسل البعوث والسرايا لمحاربة الكفار كان المنافقون يتتبعون أخبارهم نصرا أو هزيمة ، ويبادرون بإذاعتها دون تحقق ولا تفرقة بين مايصح أن يذاع ومالا يصح ، ويصدقهم السذج وضعاف العقول والإيمان ، ويذيعونها هم أيضا دون إدراك .

ولا ريب أن قصد المنافقين من هذه الإذاعات كان خبيثا ، فهم يسارعون إلى إذاعة أخبار الهزيمة ؛ ليفتوا فى عضد المؤمنين ، ويدخلوا الرعب فى قلوبهم ، واليأس فى نفوسهم ، ومهابة العدو فى صفوفهم ، وبالإجمال يبثون فى المؤمنين عوامل الضعف والجبن والفشل .

وقصدهم الخبيث من إذاعة النصر أن يبعدوا الشبهة عنهم حينما يسارعون ويبالغون فى إذاعة أخبار الهزيمة ، ويصدقون فيها ، فأخبار النصر عندهم وسيلة إلى الاطمئنان إليهم فى إشاعة الهزيمة .

وقد يكون فى إشاعة أخبار النصر ضرر بالغ بالمسلمين ؛ فإذاعة النصر وأسبابه ومسبباته قد تصل إلى جيوش الكفار ، فيتلافون الأسباب ويتداركون المسببات ، وفي ذلك زيادة المتاعب للمسلمين وتهيئة الفرصة للكفار يصلحون فيها شأنهم ، ويستعيدون قوتهم ويستدركون ما فاتهم .

ولو كان هؤلاء المنافقون مؤمنين حقا . مخلصين صدقا ، وسمعوا هذه الأخبار لأهرعوا إلى الرسول ﷺ . وإلى كبار أصحابه ، وعرضوها عليهم ، ليتحققوا صدقها أو كذبها ، ويعلموا ما يجوز إذاعته منها ومالا يجوز . ولكن الله جل شأنه – بفضله ورحمته – كشف عن نيات المنافقين السيئة ، حتى لايثق بهم المسلمون ويحترسوا من إشاعاتهم الخبيثة ، ويقضوا عليها قبل أن تنتشر ، ولولا فضل الله العظيم علينا بالإسلام وكتابه الكريم ما وقفنا على سوء نياتهم ، واتبع أكثرنا إشاعاتهم التى هى من وحى الشيطان .

وقد جعل الرسول ﷺ إذاعة الشر من الفواقر : أى الدواهى ، كأنما تحطم فقار الظهر ، وذلك لأن ضررها فى المجتمع بعيد الأثر ، يمزق وحدته ، ويشتت شمله ، ويوهى تماسكه ، ويقطع أو صاله ، ويبدل أمنه هلعا وفزعاً . واستقراره قلقا وجزعا .

يقول ﷺ فيما أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن أبى

هريرة رضى الله عنه :

« تَعَوذُوا بِاللهِ مِنْ ثَلاَثِ فَوَاقِرَ : جَارِ سُوءٍ إِنْ رَأَى خَيْراً كَتَمَهُ ، وإِنْ رَأَي شَراً أَذَاعَهُ ، وَزَوجةِ سُوءٍ إِنْ دَخَلْتَ عَلَيْهَا لَسَنَتْكَ ، وَإِنْ غِبْتَ خَانَتْكَ ، وَإِمَامِ سُوءٍ إِنْ أَحْسَنْتَ ، لَمَ يَقْبَلْ وإِنْ أَسَأْتَ لَمْ يَغْفِرْ » .

وقد وصف الإمام على كرم الله وجهه الصالحين والأولياء بأنهم لايذيعون الفواحش ، ولاينشرون السوء ،قال :

« لَيْسُوا بِالْمَذَايِيعِ الْبُذُر »

البَذُور : الذى يذيع الأسرار ، ويظهر كل ما سمعه ؛ أى إن الصالحين لايبذرون إشاعات السوء بين الناس كما تبذر الحبوب ؛ فهم دعاة إصلاح للمجتمع ، ورسل خير للناس بالعظة البالغة ، والقدوة الحسنة .

عقاب مذيعى الإشاعات الضارة :

يقول الله تعالى فى سورة الأحزاب فى آيات (٦٠ - ٦٢)

﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ، وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمدِينةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُنَكَ فِيهَا إلاَّ قَلِيلاً ، مَلْعُونِينَ أَيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلوا تَقْتِيلاً ، سُنَةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلاً ﴾ .

ذكر الله جل شأنه فى هذه الآية ثلاث صفات للمنافقين :

أولا : صفتهم العامة التي تضمهم جميعا ، وتنطبق على كل فرقهم وهى صفة النفاق :
إخفاء الكفر والتظاهر بالإيمان أو الاسلام .

ثانيا : وصفهم بأن فى قلوبهم مرضا : أى فجورا وفسقا وانحرافا عن العقائد السليمة ، وهذه الصفة قد تصدق على ضعاف الإيمان من المؤمنين ، ولكن سياق الآية يخصصها بالمنافقين ، فالذين فى قلوبهم مرض من المنافقين أيضا .

ثالثا : وصفهم بأنهم مُرجفون يكثرون من إذاعة الأخبار السيئة ، ويختلقون الأقوال الكاذبة ؛ فقد كانوا يذيعون بين المؤمنين أن السرايا التى كان يرسلها الرسول ﷺ للغزو قد هُزمتْ وقتلت ، ليزلزلوا عقائد المسلمين ، ويوهنوا عزائمهم ويقولون : قد أتاكم العدو ، أو غير ذلك من الأراجيف الملفقة ؛ لاضطرابهم وإدخال الرعب فى قلوبهم .

لذلك كله يؤكد الله بأنهم إذا لم يكفوا عن نفاقهم وفجورهم وانحرافهم ، ويمتنعوا من إذاعة الأخبار الكاذبة ، المؤذية للمؤمنين والضارة بهم – لنسلطنك عليهم ، ونأمرك بقتالهم ، وإجلائهم عن المدينة ، فلا يقيموا معك فيها إلا وقتا قصيرا ، وجوارا قليلا . ريثما تتبين حالتهم من الانتهاء عما هم عليه او عدمه .
وأسلوب الآية الكريمة جاء على صورة الإخبار ، ولكن يراد به أمر

النبى ﷺ بذلك ، وقد فعل بهم النبى ﷺ ذلك من القتال والإجلاء .

قال الشيخ الصاوى رضى الله عنه فى حاشيته على الجلالين : لما نزلت سورة براءة جمعهم وصعد على المنبر ، فقال : « يافلان ، قم فاخرج فإنك منافق ، ويافلان قم » فقام بعض المسلمين وتولوا إخراجهم من المسجد .

فهم ملعونون أى مبعدون عن الرحمة
﴿ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً ﴾ .

ففى أى مكان وجدتموهم فخذوهم واقتلوهم قتلا حقيقيا : يزهق أرواحهم ، ويبطل حسهم . وقوله تعالى :
﴿ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ولَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً ﴾ .

تسلية للنبى ﷺ ؛ يقول له : لاتحزن من وجود المنافقين فى قومك ؛ فهذه سنة قديمة كانت فى السابقين من الأمم ؛ كما كان فى قوم موسى ؛ منهم موسى السامرى وأتباعه ، وقارون وأتباعه ، وكانت سنة الله فيهم القتل والجلاء ، ولن تجد لسنة الله تبديلا : أى تغييرا ونسخا ؛ لكونها بنيت على أساس محكم . وحكمة سامية دائمة ؛ فليست مثل الأحكام التى تتبدل وتنسخ .

عقاب المرجفين فى القبر

ماسبق كان عقاب مذيعى الإشاعات الضارة فى الدنيا . وهو القتل والإجلاء . وعقابهم فى الآخرة أشد وأعظم :

فعقابهم فى القبر ذكر فى حديث الرؤيا الذى اتفق عليه البخارى ومسلم قال ﷺ :

« رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجلَيِنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدَيَّ ، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، فَإِذَا رَجلٌ جَالِسٌ ، وَرَجلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ ، بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ ، فَيُدْخِلُهُ فِي شَدْقِهِ ، فَيَشُقُّهُ حَتَّى يُخْرِجَه مِن قَفَاهُ ، ثُمَّ يُخْرِجُهُ فَيُدْخِلُهُ فِى شَدْقِهِ الآخَرِ ، وَيلْتَئِمُ هَذَا الشِّدْقُ ، فَهُو يَفعَلُ ذَلِكَ بِهِ » .

فقال النبى ﷺ للرجلين اللذين معه : وهما جبريل وميكائيل : « ماهذا ؟ » .

فقالا له :

« إِنَّهُ رَجُلٌ كَذَّابٌ ؛ يَكْذِبُ الْكَذْبَةَ ، فَتُحملُ عَنْهُ فِى الآفَاقِ ؛ فَهُو يُصنع بِهِ مَا رَأَيْتَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ يَصْنَعُ اللهُ تَعالَى بِهِ مَا شَاءَ » .

هذا جزاء مذيعى الأخبار الكاذبة . وهو عقاب فى مصنع الأحاديث الكاذبة وهو الفم . ؛ بشق شدقه بحديدة معوجة الرأس تسمى الكلوب ، وكلما انتهى من شق شدق رجع الأول كما كان

فيعاد شقه ثانية . يتكرر ذلك العذاب إلى يوم القيامة .

عقاب المرجفين في الآخرة

قال الله تعالى فى سورة النساء (١٤٤ – ١٤٦) :

﴿ إِنَّ الْمنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِن النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ؛ إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلهِ فَأُوَلئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمَنِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾ .

إلى غير ذلك من الايات الكثيرة .

فالمنافقون جميعا على اختلاف ألوانهم وتعدد فرقهم فى الدرك الأسفل من النار أى فى قعرها ، وليس لهم نصير يحول بينهم وبين العذاب ، والشيء الوحيد الذى يحول بينهم وبينه التوبة فى الدنيا من النفاق ، وإصلاح أعمالهم ، والثقة بالله ، وإخلاص دينهم لله ؛ فلا نفاق ولا رياء ولا أراجيف . فإذا تم ذلك فهم مع المؤمنين فيما يعطيه الله إياهم . وسوف يعطى الله المؤمنين أجرا عظيما فى الجنة .

الخاتمة

هذا ما ظهر لى فى موضوع الرأى العام فإن كنت أصبت فهذا ماأردت . والله قصدت . وبالله استعنت . وإن كنت أخطأت فأرجو من الله تعالى أن يغفر لى .

والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته فى كل لحظة عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ، ومداد كلماته .

الفهـرس

الموضوع	الصفحة
الافتتاحية : أول سورة الفتح	٥
مقدمة فيها إشارة إلى شمول الإسلام ، وإلى الرأى العام فيه	٧
معنى الرأى العام ـــ الرأى العام فى الأمم الحرة	١٥
الرأى العام فى الأمم المستعبدة	١٦
الرأى العام والتجار	١٨
الرأى العام والموظفون	١٩
الرأى العام فى معاهد التعليم	٢٠
الرأى العام والعمال	٢١
الرأى العام والمواصلات	٢٢
الرأى العام فى الإسلام : شعب الرأى العام : الشعبة الخارجية والشعبة الداخلية	٢٣
الشورى فى الإسلام . مشاورة النبى ﷺ أصحابه	٢٤
أمراء المسلمين يتقبلون الرأى من أهله ويشجعونهم على إبدائه ...	٢٧
استطلاع الرأى العام فى الأزمات العنيفة	٢٩
تحذير الرسول ﷺ من استغلال الجماهير ، وتحذيره من اتباع الأغلبية المزيفة	٣١

الموضوع	الصفحة
تنشئة الرأى العام فى الإسلام : أثر معاهدة الحديبية داخل الجزيرة العربية	٣٣
أثر معاهدة الحديبية خارج الجزيرة العربية	٣٦
أثر الجزية فى الرأى العام الإسلامى	٣٧
مراقبة الرأى العام الإسلامى للأفراد دائمة بدقة ورقة	٣٩
ثورة الرأى العام على المنكر وجهاده فى إزالته	٤١
فى الثورة على المنكر وجهاده نجاة المجتمع ، وفى تركهما هلاكه	٤٢
الرأى العام حق يجب اتباعه	٤٦
عقاب الخارجين على إجماع الأمة من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة	٤٨
الإشاعات الضارة وآثارها	٥٢
المنافقون والإشاعات	٥٧
عقاب مذيعى الإشاعات الضارة فى الدنيا	٦٠
عقاب المرجفين فى القبر	٦٣
عقاب المرجفين فى الآخرة	٦٤
الخاتمة	٦٥

رقم الإيداع بدار الكتب ١٨٢٩ / ١٩٨٧

eneral Organization Of the Alexan-
dria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

مطابع الوفاء - المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠
تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN

الرأى العام فى الإسلام

الحدو التعزير

الحدود فى الإسلام

رسالة الإسلام إلى الشباب

النية فى الشريعة الإسلامية

الإسلام بين المادية والروحية

الإسلام ونزعة الفطرة

To: www.al-mostafa.com